

القَصَصُ الدِّينِيُّ
الحلقة الثالثة
قصص الخلفاء الراشدين

وَفَاةُ عِمْرَءَ

عبد الحميد جودة السحار

١١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ » .

(قرآن کریم)

انتصر المسلمون على الفُرس في القادِسيَّة وفي
 جُلولاء الواقعة ، فضاقت صدورُ يَزْدَجَرْدَ ملكِ الفُرسِ
 بالهزيمة ، وأراد أن يسرِّدَ ملكه من العرب ، فجمع
 جيشًا عظيمًا ، وجعل قائده الهُرْمُزَان ، ودار بين
 جيشِ المسلمين وجيشِ الفُرسِ بقيادة الهُرْمُزَان قتالٌ
 رهيب ، فهزِمَ الفُرس ، ووقع الهُرْمُزَان في الأسر ،
 وأُرْسِلَ إلى عمرَ أمير المؤمنين في المدينة .

وصل الوفدُ بالهُرْمُزَانِ إلى المدينة ، فلمَّا بلغوها
 هيَّئوا الهُرْمُزَانِ في هيئته ، فألبسوه كُسوةً من
 الدِّبَاج (الحرير) الذي فيه الذهب ، ووضعوا على
 رأسه تاجًا مكلَّلًا بالياقوت ، وعليه جليته كيما يراه

عمرُ والمسلمون . وذهب الوفدُ إلى بيتِ عمر ،
فقبل لهم إته خرج ، فساروا في طُرقات المدينة
والناسُ حولهم ، ومروا بغلمانِ يلعبون ، فسألهم
الغلمان :

— من تريدون ؟ أمير المؤمنين ؟

— أجل .

— إنه نائمٌ في مِمنّةِ المسجد .

فوجدوا رجلاً نائماً ، متوسداً برؤسَه ، ولا أحدَ
في المسجدِ غيره ، فراح الهرمزانُ يدير عينيه في
المسجد ، فلا يجدُ إلا رجلاً نائماً ، وفي يده دِرّةٌ
معلقة ، فسأل الوفد :

— أين عمر ؟

فأشاروا إلى الرجلِ النائم ، وقالوا :

— هو ذا .

فظهر العجبُ في وجه الهُرْمَزَانِ ، وقال :

- أين حراسُه وحجَّابُه ؟

- ليس له حارسٌ ولا حاجبٌ ولا كاتبٌ
ولا ديوان .

- فينبغي أن يكونَ نبياً .

- بل يعملُ عملَ الأنبياء .

وحدثت جَلْبَةٌ ، وارتفعتُ أصواتُ النَّاسِ ،
فاستيقظَ عمرٌ وفتحَ عينيه ، فوقعَ بصرُه على رجلٍ
في ملابسٍ فاخرة ، وعلى رأسِه تاجٌ يتلألأ ،
فاستوى جالساً وسألَ من حوله :

- الهُرْمَزَانُ ؟

قالوا :

- نعم .

فأخذَ عمرٌ يتأملُه ويتأملُ ما عليه ، ثم قال :

— أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّاسِ ، وَأَسْتَعِينُ اللَّهَ ، الْحَمْدُ لِلَّهِ
الَّذِي أَذَلَّ بِالْإِسْلَامِ هَذَا وَأَشْيَاعَهُ .

ثُمَّ التَفَتَ إِلَى النَّاسِ وَقَالَ :

— يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ ، تَعَسَّكُوا بِهَذَا الدِّينِ ،
وَاهْتَدُوا بِهَدْيِ نَبِيِّكُمْ ، وَلَا تُبْطِرُنَّكُمْ الدُّنْيَا ، فَإِنَّهَا
غُرَارَةٌ .

فَقَالَ لَهُ الْوَفْدُ :

— هَذَا مِلْكُ الْأَهْوَازِ فَكَلِّمِهِ .

فَقَالَ عُمَرُ وَهُوَ يُشِيخُ عَنْهُ بِوَجْهِهِ :

— لَا ، حَتَّى لَا يَبْقَى عَلَيْهِ مِنْ حِلْيَتِهِ شَيْءٌ .

فَجَرَّدُوهُ مِنْ ثِيَابِهِ إِلَّا مَا يَسْرُرُهُ ، ثُمَّ أَلْبَسُوهُ ثَوْبًا
خَشِينًا ، وَقَالَ لَهُ عُمَرُ :

— مَا عَذْرُكَ وَمَا حُجَّتُكَ فِي انْتِقَاضِكَ مَرَّةً بَعْدَ
مَرَّةٍ ؟

- أخافُ أن تقتلني قبل أن أخبرك .

- لا تخف ذلك .

- أريدُ أن أشرب .

فأتى بماء في إناء ، فتناولهُ ، وجعلت يده ترتجف ،
ثم التفت إلى عمر ، وقال :

- أخافُ أن أقتلَ وأنا أشربُ الماء .

- لا بأسَ عليك حتى تشربه .

فالتقى الهرمزانُ بالماء ولم يشربه ، فقال عمر :

- أعيدوا عليه (أى أعطوه يشربُ مرةً ثانية)

ولا تجمعوا عليه القتلَ والعطش .

فقال الهرمزان :

- لا حاجة لي في الماء ، إنما أردتُ أن أستمعَ به .

فقال عمر :

- إني قاتلك .

- قد أمنتني .

- كذبت .

- فقال الناس .

- صدق يا أمير المؤمنين قد أمنتته ، قلت له :
لا بأس عليك حتى تشربه .

فأطرق عمرُ قليلاً ، ثم رفع رأسه ، والتفت إلى
الهُرْمُزَانِ ، وقال : والله لا ألتحدِّعُ إلا لمسلم .
فأسلمَ الهُرْمُزَانُ ، وأنزله عمرُ المدينة .

لم يكنِ الهرمزانَ صادقاً في إسلامِهِ ، فقد أسلمَ
لِيُنْقِذَ نَفْسَهُ ، وكانَ يَحْقِدُ على عمرَ ، لأنَّهُ هزَمَهُمْ ،
لذلكَ كانَ يَدبُرُ قَتْلَهُ ، وفي ذاتِ ليلةٍ دخلَ الهرمزانُ
وأبو لؤلؤةَ غلامَ المغيرةِ بنِ شعبةَ ورجلَ ثالثٍ إلى
مكانِ هادئٍ وراحوا يَتشاورُونَ ، ثم وضعوا بينهم
خنجراً له رأساً ومقبضه في وسطِهِ ، واتَّفَقوا على
أن يَقتلَ أبو لؤلؤةَ عمرَ .

وخرجَ عمرُ يطوفُ في السُّوقِ فلقِيَهُ أبو لؤلؤةَ ،
وكانَ غلاماً للمُغيرةِ ، وقد فرضَ عليه المغيرةُ دِرْهَمَيْنِ
كُلَّ يومٍ ، لأنَّهُ كانَ صانعاً ماهراً . قالَ أبو لؤلؤةَ :
- يا أميرَ المؤمنينَ ، إن عليَّ خراجاً كثيراً .

- وكم خراجك ؟

— دِرهما في كل يوم .

— وأيش صناعتك ؟

— نَجَّارٌ نَقَّاشٌ حَدَّادٌ .

— فما أرى خراجك بكثير على ما تصنع من
الأعمال ؛ بلغني أنك تقول لو أردت أن أعمل رَحِي
تطحن بالريح فعلت .

— نعم .

— فاعمل لي رَحِي .

— لكن سلمت لأعملن لك رَحِي يتحدثُ بها مَنْ
بالمشرق والمغرب .

وانصرف أبو لؤلؤة ، وفكر عمرُ فيما قال ،
فَغَنِمَ :

— لقد توَعَّدني العبد .

وراح عمرُ يصرفُ أمورَ المسلمين ، ومرت أيامٌ نسيَ عمرُ بعدها حديثَ أبي لؤلؤة ، وارتفع صوتُ المؤذنِ يدعو الناسَ لصلاةِ لصبح ، فخرج عمرُ من داره ، وذهب إلى المسجد ، وتقدم الصفوف ، فخرج أبو لؤلؤة من بين الصفوف ، وطعن عمرَ ثلاثَ طعنات . فصاح عمرُ .

— دونكم الكلب ، فإنه قد قتلني .

وماح الناس ، وخرج رجالٌ وصاح بعضهم ببعض : « دونكم الكلب » . فشدَّ على أبي لؤلؤة رجلٌ من خلفه . فاحتضنه وقبضَ عليه ، وقال قائلٌ .

— الصلاةَ عبادَ الله ، طلعتِ الشمسُ .

فقال عمرُ :

— أفي الناس عبدُ الرحمنِ بنِ عوف ؟

— نعم يا أميرَ المؤمنين ، هو ذا .

— تقدم .

فصلى عبد الرحمن بأقصر سورتين في القرآن ، ثم
أسرع الناس إلى عمر ، فقال :

- يا بن عباس ، اخرج فناد في الناس : أعن
ملاء ورضى منهم كان هذا ؟ (أى هل اتفقوا
على قتله ورضوا عن ذلك ؟)

فخرج ابن عباس فنادى ، فقالوا :
- معاذ الله ، ما علمنا .

واحتمل عمر ، فأدخل إلى داره ، ودخل على بن
أبي طالب عليه ، فقال له عمر :

- يا على ، أعن ملاء منكم ورضى كان هذا ؟
فقال على :

- ما كان عن ملاء منا ولا رضى ، ولوددنا أن
الله زاد من أعمارنا في عمرك .

وكان رأس عمر في حجر ابنه عبد الله ، فقال له :

(١) ملاء . مساعدة على الأمر

- ضَعُ خَدَيَّ بِالْأَرْضِ .

فَلَمْ يَفْعَلْ ، فَلَحِظَهُ وَقَالَ :

- ضَعُ خَدَيَّ بِالْأَرْضِ ، لَا أَمَّ لَكَ .

فَوَضَعَ خَدَّهُ بِالْأَرْضِ ، فَقَالَ :

- الْوَيْلُ لِعِمْرَ وَلَا مَّ عُمَرَ ، إِنَّ لَمْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِعِمْرَ .

وَدَخَلَ الْمُهَاجِرُونَ عَلَى عِمْرَ فَقَالُوا :

- اسْتَخْلِفْ عَلَيْنَا .

- وَاللَّهِ لَا أَحْمِلُكُمْ حَيًّا وَمَيِّتًا ، إِنْ اسْتَخْلَفْتُ فَقَدْ

اسْتَخْلَفَ مِنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي ، وَإِنْ أَدْعُ فَقَدْ تَرَكْتُ مِنْ

هُوَ خَيْرٌ مِنِّي . (يَقْصِدُ النَّبِيُّ وَأَبَا بَكْرٍ) .

وَنَزَفَ دَمُهُ ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ مِنْ عِنْدِهِ وَقَالُوا لَهُ :

- يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَوْ دَعَوْتَ الطَّيِّبَ .

- افْعَلُوا .

فَارْسَلُوا فِي طَلَبِ الطَّيِّبِ ، فَجَاءَ فَسَقَاهُ نَبِيذًا ،

فَخَرَجَ النَّبِيذُ مُشْكَلًا ، فَقَالَ :

— اسقوه لنا .

فسقوه لنا ، فخرج اللبن أبيض ، وبان الضعفُ
في عمر ، فقال لابنه :

— اذهب إلى عائشة ، وأقرئها مني السلام ،
واستأذنها أن أقبر في بيتها مع رسول الله ، ومع أبي
بكر .

فذهب إليها عبدُ الله بنُ عمر ، فأعلمها ،
فقالت :

— نعم وكرامة ، يا بني أبلغَ عمرَ سلامي ، وقلْ
له : لا تدعُ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ بلا راع ، استخلفَ عليهم
ولا تدعهم بعدك هملاً ، فإني أخشى عليهم الفتنة .

فأتى عبدُ الله فأعلمه ، فقال :

— ومن تأمرني أن أستخلف ، لو أدركت أبا
عبيدةَ بنَ الجراحِ باقياً استخلفته وولَّيته ، فإذا قُدمتُ
على ربِّي فسألني وقال لي : من وليت على أُمَّةٍ

محمَّد؟ قلتُ إِي رَبِّ ، سمعتُ عبدك ونبیک يقول :
لكلِّ أُمَّةٍ أمينٌ ، وأمينُ هذه الأُمَّةِ أبو عبيدة ابنُ
الجراح ، ولكنی سأستخلف النفرَ الذين تُوفِّي رسولُ
الله وهو عنهم راضٍ .

واختار عمرُ عليًّا وعثمانَ والزُّبيرَ وسعدَ بنَ أبي
وقاصٍ وطلحةَ وعبدَ الرحمن ، وقال لهم :

— إذا متُّ فتشاوروا ثلاثةَ أيَّامٍ ، وليصلِّ بالناسِ
صُهَيْبٌ ، فإنه رجلٌ من الموالى لا يُنازعُكم أمرَكم ،
ولا يأتينَ اليومَ الرَّابِعُ إلَّا وعليكمُ أميرٌ منكم .

واشتدَّ به الوجعُ ، ودبَّ فيه الضعفُ ، فراحَ
يُتمتُّ مُستغفِرًا ربَّه ، ثم شَخَصَ بصره ، وفاضتْ
روحُه صاعدةً إلى السَّماءِ ، راضيةً مرضيةً .

وجُهِزَ عمرُ ، وتقدَّم الخمسةُ : عليٌّ وعثمانُ
وسعدُ والزُّبيرُ وعبدُ الرحمن بنُ عوفٍ وحملوه ونزلوا

به القبر ، ثم خرجوا من القبر ، وأخذَ عليٌّ يَنْفُضُ
رأسه ولحيته ، ثم قال :

- رَحِمَ اللَّهُ ابْنَ الْخَطَّابِ ، لَقَدْ ذَهَبَ بِخَيْرِهَا ، وَنَجَا
مِنْ شَرِّهَا .